عناية الصحابة ـرضوان الله عليهمـ بحفظ القرآن الكريم

الدكتور رجب محمد غيث

جامعة المرقب

تقديم

نحمدك اللهم ونستعينك ، ونستهديك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله ، ونصلي ونسلم على من أرسلته بالهدى ودين الحق ، وأنزلت عليه القرآن فكان يقرؤه على أصحابه ، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران : 164] .

ورضي الله عن صحابته الذين سعدوا برؤيته ، وأقبلوا على كتاب الله ، يتلونه حق تلاوته ، ويستقون من موارده أصول الهداية والإيمان ، ويفتحون بحفظه كنوز الحكمة والعرفان .

وبعد :

فليس غريبا أن يكون القرآن الكريم شُغْل المسلمين الشاغل منذ اللحظة الأولى لنزوله ، وفي كل زمان ومكان ، طيلة القرون السابقة ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن يتنافس في حفظه وفهمه المتنافسون.

لقـد كـان [القـرآن الكـريم] دسـتور حيـاة الصـحابة ، ومـنهج معيشـتهم ، وغـذاء أرواحـهم ، وملجأ قلوبهم ، ومهوى أفئـدتهم ، ومـلء عيـونهم وجفـونهم ، لـذلك ظهـرت آثاره عليهم بالحفظ والإتقان ، فكانوا بناة الأجيال ، وأسوة حسنة يقتدى بها .

لقد أقبلوا عليه بعناية فائقة ، يحفظون ألفاظه ، ويتنافسون في استظهاره ويتسـابقون في مدارسته ، وتدبره ، وفهمه ، حتى كانت المفاضلة فيما بينهم علـى مقـدار مـا يحفظـون منه ، فقرأوه في الليل والنهار وفي السفر والحضر ، في الصلاة وغيرهـا إلى أن ترسـخ في قلوبهم ، وتمكن من نفوسـهم ، وثبـت في وجـدانهم ، وصـاروا أئمـة في حفظـه وفهمـه ، وكان دويهم بتلاوته يسمع كدوي النحل .

وقد ثبت أنه كان يسمع ـ في مسجد رسول الله ﷺ ـ ضـجة بتلاوتـه حتـى أمـرهم الرسول أن يخفضوا أصواتهم؛ لئلا يتغالطوا [1] ممـا يفيـد أن حفاظـه في عهـد الـنبي ﷺ كانوا جماً غفيرا ، وعددا كثيرا يحصل بهم تواتر القرآن الكريم .

وقد توفرت الدواعي والأسباب على تواتره منذ عهد الصحابة ــ رضـى الله عـنهم ـ كما توفرت الأدلة على ثبوت هذا التواتر .

فما من أحد ـ منهم ـ إلا وهو يهتم اهتماما بالغـا بحفـظ القـرآن الكـريم ووعيـه ، ومن ثم كثر حفاظه بحيث لا نستطيع أن نحدد عدد من جمع القـرآن في عهـد النبـى ﷺ من الصحابة ، إلا أن هناك روايـات تحـدد عـددهم بـل في بعضـها مايحـددهم بالاسـم ، وهو ما يجعل عددهم قليلاً ، مما جعـل أعـداء الإسـلام يتحـاملون علـى القـرآن الكـريم ويطعنون في تواتره ، وتكلم فيه المرجفون ـ وهم ملعونون أينما وجدوا وقتلوا تقتيلا .

الأمر الذي جعلني أتنـاول موضـوع «أشـهر مـن جمـع القـرآن في العهـد النبـوي والنصوص الواردة بحصر الجمع بالدراسة» .

إن من يتتبع ذلك يجد أن بعـض المصـادر [2] تـذكر طائفـة مـن الصـحابة الـذين جمعوا القرآن وأتقنوا حروفه في عهد الرسول ﷺ ، غير أن بعض هذه المصادر تـذكر أن من هذه الطائفة من لم يتم جمعه بل فاته بعض السور ، فتقول مثلاً : إنه قد جمـع القـرآن

(1) انظر مناهل العرفان للزرقانى ج1ص241 .

(2) انظـر البرهـان للزركشـى ج1ص241 ، والجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبـى ج1ص56 ، تـذكرة الحفـاظ للـذهبى ج1ص12 ، التاريخ الكبير لابن عساكر ج5ص445 ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج2ص112 .

باستثناء سورتين أو ثلاثة .

ولا يشك مسلم ـ إطلاقاً ـ في أن القرآن قد جمع كله في عهد صاحب الرسالة (صلوات الله وسلامه عليه) ، غير أن لجمع القرآن ـ في روايات هذه المصادر ـ تاريخا متعارضا إن لم يكن متناقضا ، ألقى بتبعاته على القرآن الكريم ، وفتح الباب للمتقولين يتقولون فيه ، وعلى الرغم أن القرآن الكريم أسمى من أن يثير تعارض الروايات ــ حوله ـ أدنى شك ، فهو محفوظ كما أنزل ، وسالم كما أوحي ، غير أنه ــ في الواقع ـ من يرجع إلى كتب السنة والسير والتاريخ وغيرها يجدها مختلفة في عدد الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول ﷺ ، كما أنها مختلفة في أسمائهم أيضا .

فبعض الروايات تحصرهم في عدد محدود ، أربعة ، خمسة ، ستة ... وبعضها الآخر يوصل عددهم إلى مائة ، ومنها من أو صلهم إلى أكثر من ذلك بكثير [1] .

وإذا ضمت هذه الروايات ــ إلى بعضها فإنها بدون شك ـ تسفر عن نتائج متعارضة لذلك فهي تحتاج إلى دراسة وتوجيه وتفسير .

وقد وقفت ـ في البداية ـ من هذه الروايات موقف المندهش المتحير ، ثم قررت في النهاية دراستها بكل تجرد وموضوعية لعلي أصل من خلالها إن شاء الله إلى نتائج سليمة قد تقارب الواقع إن لم تتفق معه ، وتتجه نحو الصواب .

وهذه جملة من الروايات التي صرحت بأسماء وأعداد أشخاص جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

ـ جاء في صحيح البخارى أن من جمع القرآن ــ على عهد النبي ﷺ ـ أربعة : روي عن قتادة [2] ، « ت 117 هـ » قال : سألت أنس بن مالك « ت 95 هـ » : من جمع القرآن في عهد رسول ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار :

ـ أبي بن كعب « ت 20 هـ » .

ـ معاذ بن جبل « ت 17 هـ » .

---

(1) المعجزة الكبرى للشيخ أبو زهرة . 21 .

(2) هو قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي ، أبو الخطاب البصرى ، الحافظ ، المفسر ، العالم بالعربية غاية النهاية ج2ص25 . وفيات الأعيان ج4ص85 .

ـ زيد بن ثابت «ت 45 هـ»

ـ أبو زيد [1] .

وقد اختلف في اسم أبي زيد هذا ، قيل [2] : سعد بن عبيد بن النعمان ، ورُدّ بأنه أوسي ، وأنس خزرجي ، وقيل إنه أحد عمومته ـ كما سيأتي في الرواية اللاحقة ـ وبأن الشعبي عده هو وأبوزيد معا فيمن جمع القرآن ـ كما سيأتي ـ فدل على أنه غيره .

قال علي بن المديني [3] : إن اسمه أوس ، وعن يحي بن معين أنه ثابت بن زيد وقيل : سعد بن عبيد بن النعمان ، وبذلك يجزم الطبراني ، عن شيخه أبى بكر بن صدْفة، قال : وهذا الذي كان يقال له القارئ .

وفي فتوح البلدان[4] أن رسول الله ﷺ بعث سنة ثمان أبا زيد الأنصاري الخزرجي وهو ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلى «عُمان» فلم يزل هناك حتى قبض النبي ﷺ ، ويقال : إنه قدم المدينة قبل ذلك .

وقال ابن حجر «ت 852 هـ» [5] : قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن «قيس بن أبي صعصعة» وهو خزرجي ، يكنى أبا زيد ، فلعله هو .

ثم قال : وجدت عند أبي داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد البخاري عن أنس ، أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن .

قال : وكان رجلا منا من بنى عدي بن النجار ، أحد عمومتي ، ومات ولم يدع عقبا ، ونحن ورثناه .

لكن الذي يبدو أن وفاة أبي زيد «قيس بن السكن» قد كانت قريبة من وفاة النبي ﷺ ، لذلك ذهب علمه ، ولم أجد ـ فيما اطلعت عليه ـ من أخذ عنه القرآن الكريم وطرق أدائه .

ـ وقد روي حديث أنس السابق من طريق «ثابت» عن أنس أيضا حيث قال :

(1) رواه البخارى في فضائل القرآن ج3ص228 ، ورواه مسلم بشرح النووى انظر ج16ص19 .
(2) انظر الاتقان للسيوطى ج1ص203 .
(3) انظر فتح البارى لابن حجر ج7ص128 ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص53 .
(4) انظر فتوح البلدان للبلاذري ص53 .
(5) انظر الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ج3ص251 .

مات النبي ـ ولم يجمع القرآن غير أربعة :

ـ «أبو الدرداء» عويمر بن عامر «ت 32 هـ» .

ـ ومعاذ بن جبل

ـ وزيد بن ثابت

ـ وأبو زيد [1]

فقيل لأنس : من أبو زيد هذا ؟ قال : أحد عمومتي ، مات ولم يدع عقبا ونحن ورثناه [2] .

فهذا أنس يخبر ـ في الرواية الأولى ـ بأن من جمع القرآن ــ في عهد الرسول ﷺ ـ أربعة ، ويحصر في الرواية الثانية الجمع في أربعة أيضا ، منهم ثلاثة ممن ذكروا في الرواية الأولى وتخالفها في أبي بن كعب ، فتذكر بدله أبا الدرداء .

ولهذا فالحديثان بينهما تباين ومخالفة في التصريح بصيغة الحصر ، وعدم التصريح بها ، وفي ذكر أبي بن كعب مرة ، وأبي الدرداء مرة أخرى ، لذلك قال الإسماعيلي : لا يجوزان في الصحيح مع تباينهما ، بل أحدهما .

وقال الداودي : لا أدرى ذكر أبي الدرداء محفوظا .

قال ابن حجر : قد أشار البخاري إلى عدم الترجيح باستواء الطرفين [3] وفي استدلال البخاري بالروايتين وتقوية كل منهما ، وعدم ترجيح واحدة منهما على الأخرى، إشارة إلى أنه قد أخذ بكل منهما على الحقيقة ، وكأنه يقول : الكل ثابت ، وكل رواية صحّ منها عدد من الأسماء .

وقد أجاب فريق من العلماء ـ عن هذا الحصر ـ بأنه ليس بحقيقي ، وإنما هو إضافي يؤكد ذلك ما ورد في الروايات التي تقرر أن القرآن الكريم قد حفظه جماعة من الصحابة غير هؤلاء المذكورين في حديث أنس إن شاء الله تعالى .

وإضافة لما تقدم فإن الحصر ـ في قول أنس المتقدم ـ يخالف الواقع ، فالحفظة

---

(1) سبق التحقيق في اسمه وبيان الراجح وهو أنه قيس بن السكن .

(2) رواه البخارى في فضائل القرآن . انظر ج3ص228 .

(3) انظر فتح البارى لابن حجر ج10ص428 .

من الصحابة ـ في العهد النبوي ومن بعده ـ كانوا عددا كثيرا ، وجما غفيرا .

يقول الباقلاني[1] : إن الأحاديث مضطربة وإن خرجت في الصحيحين ، وعلى تقدير سلامتها ، فالجواب على حديث أنس من أوجه :

أـ أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والأحرف والقراءات التي نزل بها ، وأخبر رسول ﷺ أنها كلها شاف كاف ، إلا أولئك النفر فقط .

ب ـ أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه ، وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة .

ج ـ أن المراد بجمعه تلقيه من رسول الله ﷺ بلا واسطة ، بخلاف غيرهم فإن أكثرهم أخذوا بعضه عنه ، وبعضه الآخر بواسطة .

د ـ أن المراد بالجمع الكتابة أي أنه لم يجمعه أحد عنده ـ شيئا بعد شيء ـ كلما نزل حتى تكامل نزوله ـ إلا هؤلاء فإنهم كتبوه وغيرهم حفظه ولم يكتبه ، أوكتب بعضه فقط .

هـ ـ المراد أن أحدا لم يذكر عن نفسه أنه أكمله في حياة رسول الله ﷺ سوى هؤلاء الأربعة لأن من أكمله ـ سواهم ـ كان يتوقع نزول القرآن مادام النبى ﷺ حياً ، فقد لايستجيز النطق بأنه أكمله واستجازه هؤلاء ومرادهم : أنهم أكملوا الحاصل منه .

ويحتمل[2]ـ أيضا ـ أن يكون من سواهم لم ينطق بإكماله خوفا من المراءاة به وقد تنبه ابن حجر إلى تعسف الباقلاني في هذه التخريجات ، فاستبعد غالب احتمالاته وقال : إن في غالب هذه الاحتمالات تكلفا ، وفي رأيه أن الحديث لا يؤخذ وحده ولكنه جزء من موقف ، ومعرفة الظروف التي أحاطت به قد تعين على تحديد مدلوله وذكر أن الحديث قيل في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، دون الأوس فقط بقرينة المفاخرة ـ كما سيأتي في رواية الطبري ـ وهذا لا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين .

وقال المازري[3] «ت 536 هـ» : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن

(1) انظر الانتصار للباقلاني ج1ص48 والمرشد الوجير . لأبي شامة ص39 .

(2) انظر الانتصار للباقلاني ج1ص48 . وانظر ارشاد الساري للقسطلاني ج7ص511 .

(3) هو محمد بن عمر بن محمد التميمى أبو عبد الله المازرى الفقيه المالكى صاحب شرح صحيح مسلم المسمى بالمعلم بفوائد كتاب مسلم وفيات الأعيان ج4ص285 .

يكون الواقع ـ في نفس الأمر ـ كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه[1] ، وإلا كيف يعرف النقلة أنه لم يكمله سوى أربعة ؟ . وكيف تتصور الإحاطة بهذا ؟ وأصحاب رسول الله ﷺ متفرقون في البلاد ؟ .

والحق أن هذا لا يتصور حتى يلتقي الناقل بكل رجل منهم فيخبره عن نفسه أنه لم يكمل القرآن وهذا بعيد تصوره في العادة .

كذلك ناقش ابن الجزري « ت 833 هـ » حديث أنس فقال : إن الرواية الأولى لا دليل فيها ، والرواية الثانية التي وردت بالحصر فهى مخصصة بالإجماع[2] .

والذي يبدو أن الإخبار بأن الذي جمع القرآن عدد معين دون سواه قول تتعذر الإحاطة به .

كما يتعذر القول بأن فلانا جمع القرآن كله في حياة رسول الله ﷺ ذلك أن صاحب الرسالة موجود بينهم ، والوحي لايزال ينزل .

والعلم ـ بتجويز قرآن ينزل عليه كل حين إلى أن يموت ـ أمر صحيح متوقع .

يقول الباقلاني « ت 403 » لايصح أن يقال في عصره ﷺ كملت سورة كذا لأن قائل ذلك لا يدري هل ينزل مايضاف إليها أم لا ؟ . ولا يتيقن ذلك إلا بعد وفاته ، وكان الغالب ـ على القوم ـ الاستمرار بأفعالهم ، وإرادة الله تعالى فعل ما يظهر عليهم حفظ القرآن أو غيره[3] .

واحتج بعض العلماء على أن الحصر في حديث أنس المتقدم ــ غير حقيقي ـ براوية الطبري[4] عن قتادة « 117 هـ » حيث قال : « افتخر الحيان : الأوس والخزرج ، فقال الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر[5]، ومنا الذي حمته الدبر[6]،

(1) انظر المرشد الوجير لأبي شامة ص40 .

(2) غاية النهاية في طبقات القراء . ج1ص423 .

(3) الانتصار للباقلاني . 67 . تحقيق محمد زغلول . منشأة المعارف . الاسكندرية .

(4) انظر البرهان للزركشي ج1ص242 . والاتقان للسيوطى ج1ص199 .

(5) الأنصارى الأوسي ، صحابي خرج إلى الجهاد وهو جنب ، فاستشهد فغسلته الملائكة . الاصابة لابن حجر ج1ص360 .

(6) أي جماعة النحل ، وكان « عاصم » قد قتل ـ في غزوة أحد ـ ابنين لأمرأة من قريش فنذرت إن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فلما استشهد أراد أناس من قريش أن يأخذوا رأسه ليبيعوها لها ولكن الله منعهم ، فأرسل جماعة من النحل فحمته منهم ، فقالوا ننتظر حتى يأتي الليل فنأخذه ، ولكن الله غيبه في الوادى ، فلم يقفوا له على أثر ، ولما علم بذلك عمر ، قال : إن الله يحفظ العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ، ولا يمس

عاصم ابن أبي ثابت الأنصاري[1]، ومنا الذي اهتز لموته العرش ، سعد بن معاذ [2]، ومنا الذي أجيزت شهادته بشهادة رجلين ، خزيمة ابن ثابت»[3] .

فقال الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم. . . فسماهم[4] .

ـ وقد علق ابن عبد البر «ت 463 هـ» على حديث أنس ـ بقوله : إنما أريد بهذا الحديث الأنصار ، وإلا فقد جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ـ جماعة منهم :

ـ عثمان بن عفان «ت 35 هـ» .

ـ علي بن أبى طالب «ت 40 هـ» .

ـ عبد الله بن مسعود «ت 32 هـ» .

ـ عبد الله بن عمرو بن العاص «ت 65 هـ» .

ـ سالم مولى أبى حذيفة «ت 12 هـ»[5] .

وغير هؤلاء كثير .

ـ ولم تكن رواية أنس المتقدمة الوحيدة في هذا المجال ، بل هناك روايات أخرى قريبة منها ، من هذه الروايات : ما أخرجه البيهقي[6] «ت 458 هـ» عن ابن سيرين «ت 110 هـ» ما يتضمن السؤال نفسه المتقدم ، وعددت تلك الرواية من تقدمت أسماؤهم ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة :

مشركا أبدا في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع في حياته . وللمزيد راجع صحيح البخارى ج3ص27 ـ 30 . السيرة النبوية لابن هشام ج2ص169 . زاد المعاد ج2ص109 .

(1) انظر ترجمته في الإصابة ج2ص244 .

(2) يكنى أبا عمرو شهد بدرا ، ورمى بسهم يوم الخندق ، لكنه عاش حتى حكم في بنى قريضة ولما خرجت جنازته قال المنافقون : ما أخفها ، فقال النبى ﷺ إن الملائكة حملته . . . انظر الإصابة ج2ص37 .

(3) وفيه قال النبى ﷺ من شهد له خزيمة فحسبه ، وقد جعل شهادته شهادة رجلين . ولما افتخر الحيان «الأوس والخزرج» قال الأوس : ومنا من جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين . الإصابة ج1ص425 .

(4) انظر فتح البارى لابن حجر ج10ص426 .

(5) راجع الاستيعاب بهامش الاصابة لابن عبد البر . ج3ص224 .

(6) هو أحمد بن الحسين بن على أبوبكر البيهقي ، من أئمة الحديث . له عدة مصنفات . تذكرة الحفاظ ج3ص309 .

ـ فقيل : عثمان وأبو الدرداء .

ـ وقيل : عثمان[1] ، وتميم الداري[2] «ت 40 هـ» .

غير أن بعض العلماء ذهب إلى أبعد مما تقدم ، فقال : ينبغي ردّ الحديثين المرويين عن أنس ، وعدم الالتفات إليهما ، وإن وردا في الصحيح ، لما في تأويلهما من التكلف ، من ناحية ، ولأنهما من كلام أنس نفسه ، من ناحية أخرى ، وقد اضطرب فيه ، والكلام المضطرب لا يقبل .

قال القسطلاني «ت 923 هـ» : كيف يمكن الحصر مع ما ورد في قتل القراء ببئر معونة[3] ، ويوم اليمامة[4] ، لا سيما مع ما في هذه الأحاديث من الاضطراب في العدد ، والنفي ، والإطلاق ، وليس منها شئ من المرفوع إلى النبي ﷺ ؟ وقال العيني«ت 855 هـ» : إن القراء من أصحاب النبي ﷺ كثير عددهم ، وممن ذكرهم :

ـ عبادة بن الصامت .

ـ أبو أيوب خالد بن زيد .

ـ قيس بن أبي صعصعة .

ـ قيس بن السكن .

ـ أم ورقة بنت نوفل ، وقيل بنت عبد الله بن الحارث .

قال عنها ابن سعد « إن الرسول ﷺ كان يزورها ، ويسميها الشهيدة ، وقد جمعت القرآن»[5] .

ثم قال : وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده ﷺ لا يحصيهم

---

(1) انظر البرهان للزركشى ج1ص241 .

(2) هو تميم بن أوس بن خارجة ، أبو رقية الدارى ، أول من أسرج السراج في المسجد الاصابة ج1ص183 .

(3) بئر معونة : هو موضع بين مكة وعسفان ، وقد وقعت غزوة بئر معونة سنة 4 للهجرة . ا نظر تاريخ الإسلام للذهبي (مجلد المغازي) ص192 . وانظر معجم البلدان للحموى ج1ص353 .

(4) اليمامة : وقعة اشتبك فيها المسلمون بجيش مسيلمة الكذاب الذي ارتد وادعى النبوة وفيها استشهد من الصحابة نحو نحو 450 وقيل 700 وقيل أكثر انظر تاريخ الطبرى ج3ص252 . في حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة .

(5) الاتقان للسيوطي ج1ص204 .

أحد ، ولا يضبطهم عدد[1] .

فهذه الروايات وغيرها وإن عينت بعض الذين جمعوا القرآن على عهد رسول ﷺ أو الذين قرأوا عليه إلا أنه ليس معنى هذا أن غيرهم لم يفعل مثل فعلهم ، بل من جمعوا القرآن بلغوا ـ من الكثرة ـ حداً لا يمكن معه إحصاؤهم .

وقد بلغ ـ من شدة حرص الصحابة ـ على حفظه وتحفيظه ـ أنهم كانوا يعلمونه صبيانهم ، قال ابن عباس « ت 69 هـ» : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشرسنين وقد قرأت المحكم .

وفى رواية قيل له : وما المحكم ؟ قال : المفصل[2] .

وتشير بعض المصادر[3] إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « ت 23 هـ» أمر بجمع الصبيان في الكتاب وأمر عامر بن عبيد الخزاعي أن يتعهدهم بالتعليم ، وجعل له رزقا على ذ لك يتقاضاه من بيت المال ، وكان المعلم يجلس للصبيان بعد صلاة الصبح إلى أن يرتفع الضحى ، ومن بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، وذلك طيلة أيام الأسبوع وعلى هذا كان نظام الكتاب عندنا .

وحين خرج « عمر رضي الله عنه» إلى الشام وغاب عن المدينة شهرا استوحش إليه الناس ، وخرج الصبيان من الكتاب للقائه على مسيرة يوم من المدينة ، وكان ذلك يوم الخميس ، ورجعوا معه إلى المدينة يوم الجمعة وقد انقطعوا عن الكتاب يومين أجازها لهم « عمر رضي الله عنه» وكانت بعد ذلك عادة متبعة[4] .

ـ وأخرج ابن أبي داوود « ت 316 هـ» عن محمد كعب القرظي « ت 118هـ» قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار :

ـ معاذ بن جبل[5] .

ـ عبادة بن ثابت[1] .

(1) المرجع السابق . وانظر عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج20ص27 .
(2) صحيح البخاري ج3ص233 .
(3) انظر تاريخ القرآن للأبيارى ص66 .
(4) انظر الفواكه الدوانى على رسالة ابن أبي زيد القيراوني . ص93
(5) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، أبو عبد الرحمن الأنصاري مات بالشام سنة 17هـ ، غاية النهاية ج2ص301.

ـ أبي بن كعب

ـ أبو الدرداء

ـ أبو أيوب الأنصاري «ت 82 هـ»[2] .

ـ وأخرج البيهقي «ت 458 هـ» وابن أبي داود[3] عن الشعبي «ت 105 هـ»[4] قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة :

ـ أبي بن كعب

ـ زيد بن ثابت

ـ معاذ بن جبل

ـ أبو الدرداء

ـ سعيد بن عبيد .

ـ وأبو زيد .

ـ ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة[5] .

ـ وقد زاد ابن النديم على من ذكرهم الشعبي ، وأنس ، وابن سيرين ، والقرظي :

ـ علي بن أبي طالب «ت 40 هـ» .

ـ وعبيد بن معاوية[6] .

ـ وهناك رواية أخرى ـ عن الشعبي ـ أو ردها الزركشي «ت794 هـ» سمى فيها من ذكرهم في الرواية السابقة ثم قال : «ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب

---

(1) لعل عبادة بن ثابت مصحف عن «عبادة بن الصامت» المتوفى سنة 45 هـ . كما هو في نصرواية العينى السابقة ، وإلا فإنني لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من تراجم الصحابة .

(2) انظر طبقات بن سعد ج2ص113 . والبرهان للزركشى ج1ص241 . والاتقان للسيوطى ج1ص202 .

(3) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستانى ، أبو بكر بن أبي داود ، انظر غاية النهاية ج1ص420 .

(4) هو عامر بن شراحبيل أبو عمرو الكوفى . انظر ترجمته في غاية النهاية ج1ص350 .

(5) انظر الاتقان للسيوطى ج1ص202 . والبرهان للزركشى ج1ص241 .

(6) انظر الفهرست لابن النديم ص 41 .

محمد ﷺ غير عثمان»[1] رضي الله عنه .

لكن العيني[2] يشير إلى ما ذكره أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني «ت 444هـ» وهو أن الخلفاء الأربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

ـ فأما أبو بكر فالذي يظهر ـ من كثير من النصوص ـ أنه كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ يؤيد هذا تقديم النبي ﷺ له إماماً ـ ولا يقدم لها إلا أقرأ القوم لقوله ﷺ «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله[3]» ، وقد قدمه النبي ﷺ في مرضه إماما للمهاجرين والأنصار ، فدل على أنه كان أقرؤهم .

وروى أنس بن مالك أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في صلاة الصبح بسورة البقرة ، فقال له عمر رضي الله عنه : كادت الشمس تطلع ، فقال أبوبكر : لو طلعت لم تجدنا غافلين[4] .

وإذا كان قد قرأ في الصلاة وهو إمام بأطول سورة في القرآن فإن هذا يعزز الرأي الذي يقول : بأنه كان يحفظ القرآن في حياة الرسول ﷺ .

وقد جاء في الصحيح أنه بنى مسجدا بفناء داره ، فكان يقرأ فيه القرآن حتى لقد خاف المشركون على نسائهم وأبنائهم أن يفتتنوا بقراءته .

قال ابن حجر [5] : ومما لا ينبغي أن يرتاب فيه ، أن الصديق ــ رضي الله عنه ـ كان يحفظ القرآن كله في حياة الرسول ﷺ ، لشدة حرصه على تلقف ماينزل على الرسول من القرآن ، وفراغ باله له ، وهما بمكة ، ولكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت السيدة عائشة «ت 58 هـ» : كان يأتيهم بكرة وعشيا .

وكان عثمان بن العاص ـ لما دخل الإسلام ـ يتردد إلى النبى ﷺ يعلمه القرآن فإذا لم يجده جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فأقرأه القرآن الكريم[6] ، وهو ما يجعل

(1) انظر البرهان للزركشى ج1ص241 .
(2) انظر عمدة القارىء للعينى ج20ص27 .
(3) راجع المستدرك على الصحيحين للحاكم ج1ص243 .
(4) انظر طبقات ابن سعد ج3ص76 .
(5) انظر فتح البارى لابن حجر ج10ص427 .
(6) انظر المرجع السابق .

الباحث يقطع بأن هذا العمل ـ منه ـ يقتضي أن يكون حافظا للقرآن .

ـ وأما « عمر رضي الله عنه » فقد تظافرت عنه الروايات بالحفظ فقد أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال « لعمر ، ولزيد » أقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين ـ على شيء من كتاب الله ـ فاكتباه[1] .

والذي يؤخذ من هذا النص أن عمر – رضي الله عنه - كان يوازى زيد بن ثابت في هذه المهمة ، بل إن « زيدا » كان تبعا له ، وهو ما يتطلب منه الحفظ الكامل .

وروي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : لقد رأيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وإنه لجالس على المنبر ، والمهاجرون والأنصار حوله ، يعلمهم القرآن كما يعلم الكاتب الولدان .

ومن المشهور الذي لا يجهل ـ أن عمر « رضي الله عنه » أقام من صلى التراويح بالناس في ليالي رمضان ، وأمره أن يقرأ في الركعة الواحدة نحوا من عشرين آية ، فكان يحيي القرآن ـ في الشهر ـ مرتين[2] . ومعلوم أن ذلك لم يكن من المصحف الذي كتبه زيد في خلافة أبي بكر لأن المصاحف لم تنسخ منه إلا في خلافة عثمان فانتسخت المصاحف حينئذ والناس ـ قبل ذلك ـ كانوا يقرءون القرآن مما حفظوه .

كما أن ذلك لم يكن ليصدر إلا من شخص يحفظ القرآن كله بإتقان .

وأما :

ـ عثمان بن عفان

ـ علي بن أبي طالب . رضي الله عنه فسيأتى الكلام عنهما إن شاء الله تعالى .

ـ وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي « ت 748هـ » في كتابه « معرفة القراء الكبار[3] » الأشخاص الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم ، وأما من جمعه منهم ولم تتصل بنا قراءاتهم مباشرة فكثير ، حيث قال :

وأما الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ فسبعة :

---

(1) انظر كتاب المصاحف لابن أبي داود . 12 .

(2) انظر مقدمة كتاب المباني . 31 .

(3) باب الطبقة الأولى الذين عرضوا على رسول الله ﷺ .

ـ عثمان بن عفان .

ـ علي بن أبي طالب .

ـ أبي بن كعب .

ـ عبد الله بن مسعود .

ـ زيد بن ثابت .

ـ أبو موسى الاشعري[1] « ت 44 هـ» .

ـ أبو الدرداء عويمر بن زيد .

وقد أكد الحافظ الذهبي نفسه أن غيرهم جمع القرآن في عهد النبي ﷺ فقال : وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة منهم :

ـ معاذ بن جبل .

ـ أبو زيد[2] .

ـ سالم مولى أبي حذيفة[3] « ت 12 هـ» .

ـ عقبة بن عامر .

وغيرهم : ولكن لم تتصل بنا قراءتهم مباشرة وإن كانت قد وصلتنا عن طريق غيرهم[4] .

ـ وفي مجال التنويه بجودة الحفظ نرى الرسول ﷺ ينوه بحفظ بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ويحث المسلمين أن يتلقوا عنهم القرآن الكريم .

فقد روى البخاري « ت 256 هـ» بسنده عن مسروق « ت 63 هـ» قال : ذكر

(1) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن بشار أبو موسى الاشعرى اليمانى ، توفى سنة 44 هـ على الأرجح ، وقيل سنة 53هـ . انظر غاية النهاية ج1ص442 .

(2) تقدم ذكره .

(3) بن معقل مولى أبى حذيفة ، بن عقبة ، بن ربيعة ، أبو عبد الله ، وردت عنه حروف القرآن ، استشهد في موقعة اليمامة سنة 12هـ . انظر النشر لابن الجزري ج1ص301 .

(4) انظر معرفة القراء الكبار للذهبى ج1ص42 . والبرهان للزركشى ج1ص242 .

عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال : لا أزال أحبه بعد ما سمعت النبي ﷺ يقول : استقرئوا[1] القرآن من أربعة :

ـ عبد الله بن مسعود

ـ سالم[2] .

ـ معاذ بن جبل .

ـ أبي بن كعب[3] .

والذي يظهر ـ من تخصيص هؤلاء الأربعة ـ أنهم كانوا أجود قراءة ، وأتقن حفظا من غيرهم ولهذا جاء ـ في حديث آخر ـ عن عمر –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال : من أحبّ أن يقرأ القرآن ـ غضا كما أنزل ـ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[4] يريد عبد الله بن مسعود . وهذا لا يمنع أن يكون غيرهم حافظا مثلهم .

كما يستفاد من النص ـ أيضا ـ أن الرسول ﷺ لم يكتف بتلقينه وتعليمه القرآن لأصحابه ، بل عين غيره من الحفاظ من يقرئ الناس القرآن الكريم ولهذا أتقنه عدد من المسلمين ، وحفظوه على مدى السنين الأولى من صدر الإسلام .

ـ وأخرج النسائي « ت 303 هـ » ــ بسند صحيح ـ عن عبد الله بن عمرو « ت65 هـ » قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « اقرأه في شهر[5] » وذكر تمام الحديث .

وروى سعيد بن جبير « ت 95 هـ » ـ عن ابن عباس ـ قال : توفي رسول الله ﷺ وقد قرأت القرآن وأنا ابن عشر سنين [6] .

ـ وعى التاريخ تراجم نساء كن ذوات شأن في خدمة القرآن الكريم ، وحفظه . من بينهن ثلاث من نسائه ﷺ كان لهن مصاحف خاصة ، فقد أورد ابن أبي داود في كتابه

---

(1) استقرئوا : أي تعلموا منهم .

(2) يقصد سالم بن معقل بن ربيعة مولى أبي حذيفة الذي تقدم ذكره .

(3) رواه البخارى في فضائل الصحابة ج2ص307 .

(4) مسند الإمام أحمد ج1ص26 . وانظر فضائل القرآن لابن كثير 63 . تحقيق زهير شفيق .

(5) فضائل القرآن لابن كثير 65 .

(6) انظر عمدة القارىء ج20ص27 .

ـ المصاحف ـ مجموعة من الصحابة والصحابيات الـذين كانـت لهـم مصـاحف خاصـة ، وعدّد من بين هذه المصاحف :

ـ مصحف عائشة [1] « ت 58 هـ» . رضي الله عنها .

ـ مصحف حفصة [2] « ت 45 هـ» . رضي الله عنها .

ـ مصحف أم سلمة [3] « ت 59 هـ» . رضي الله عنها .

كما وعى التاريخ أيضاً أن إحداهن ـ وهي حفصة بنت عمر ـ هي الـتي حفظـت ـ بعد أبيها ـ نسخة الجمع الأول للقرآن الكريم [4] ، التي كانت أولى مراجع لجنـة الجمـع الجمع العثماني .

فهذه الشواهد ـ وغيرها ـ تدل دلاله واضحة علـى حفظهـن للقـرآن الكـريم لـذلك عدهن العادون ضمن القراء من أصحاب النبي ﷺ ، فقد أورد أسماءهن الإمـام أبـو عبيـد القاسم بن سـلام « ت 224 هــ» في أول كتابـه القـراءات[5] ضـمن القـراء الـذين جمعـوا القرآن على عهد النبي ﷺ كما سيأتي الحديث عن ذلك قريبا إن شاء الله تعالى .

ـ وهذه أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، التي اسـتأذنت الـنبي ﷺ ــ حـين خـرج لبدر في أن تخرج مع المسلمين ، تـداوي جرحـاهم ، وتمـرض مرضـاهم ، والـتي كـان النبي ﷺ يسميها الشهيدة ، وأمرها أن تؤم أهل دارها ، قد جمعت القرآن أيضا .

قال السيوطي [6] « ت 911 هـ» : ظفرت بامرأة من الصـحابيات جمعـت القـرآن ولم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك ، فأخرج ابن سعد ـ في الطبقـات ـ أنبأنـا الفضـل بـن دكين قال : حدثنا الوليد بن عبدالله بن جميع ، قـال : حـدثتني جـدتي عـن أم ورقـة بنـت عبدالله بن الحارث ، وكـان رسـول الله ﷺ يزورهـا ، ويسـميها الشـهيدة ، وأمرهـا أن تـؤم أهل دارها ، كانت قد جمعت القرآن . . . ثم ساق الحديث .

---

(1) انظر كتاب المصاحف ص 94 .

(2) المصدر نفسه. ص 95 .

(3) المصدر نفسه .ص 98 .

(4) انظر مقدمة كتاب المباني ص 18 .

(5) هذا الكتاب لم يزل مفقودا حسب علمي .

(6) راجع الاتقان للسيوطي ج1ص204 .

ـ سمى الإمام أبوعبيد القاسم بن سلام «ت 224 هـ» أهل القرآن من الصحابة في أول كتاب القراءات [1] فذكر القراء الذين نقلت عنهم وجوه القراءات وعد من المهاجرين :

ـ أبا بكر الصديق

ـ وعمر بن الخطاب

ـ وعثمان بن عفان

ـ وعلي بن أبي طالب

ـ وسعد بن أبى وقاص [2] «ت56 هـ»

ـ وطلحة بن عبيد الله بن عثمان «ت 26 هـ»

ـ وعبد الله بن مسعود

ـ وسالم مولى أبى حذيفة [3]

ـ وحذيفة بن اليمان [4] «ت 36 هـ»

ـ وأبا هريرة[5] «ت 57 هـ»

ـ وعبدالله بن عمر [6]«ت73 هـ»

ـ وعبدالله بن عباس[1]

---

(1) أشرت فيما سبق إلى أن هذا الكتاب لم يزل مفقوداً على الرغم من البحث عنه .

(2) القرشي التميمى أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قتل يوم الجمل سنة 36 هـ . انظر غاية النهاية ج1ص342 . والاصابة ج2ص229 .

(3) تقدمت ترجمته ، وأبو حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، بن عبد مناف القرشي . . الاصابة ج2ص6 .

(4) ابن جابر العبسي . واليماني لقب ابنه الحسن . صاحب سر النبى ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره . الاصابة ج1ص317 .

(5) هو عبد الله بن صخر الدوسي ، وكان اسمه في الجاهلية «عبد شمس» أسلم سنة سبع للهجرة ، وصحب الرسول ﷺ كثيرا ، فكان إماما فقيها محدثا ، قرأ القرآن على أبي بن كعب ، الاصابة ج4ص202 . سير أعلام النبلاء ج2ص578 .

(6) ابن الخطاب القرشي العدوى ، توفي سنة 73 هـ على خلاف . غاية النهاية ج1ص437 والاصابة ج2ص347

ـ وعمرو بن العاص[2] « ت 43هـ»

ـ وعبدالله بن عمرو بن العاص [3] « ت65 هـ»

ـ ومعاوية بن أبى سفيان [4] « ت60 هـ»

ـ وعبدالله بن الزبير [5] « ت73 هـ»

ـ وعبدالله بن السائب [6] « ت 70 هـ»

ـ وعائشة بنت أبى بكر الصديق [7] « ت 58 هـ»

ـ وحفصة بنت عمر بن الخطاب[8] « ت 45 هـ»

ـ وأم سلمة [9] « 59 هـ»

وعدّ من الأنصار :

ـ أبي بن كعب [10]

---

(1) ابن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس . عده أبو عبيد ضمن الصحابة الذين أتموا حفظ القرآن في حياة الرسول ﷺ وذكره الذهبي ضمن علماء الطبقة الثانية من حفاظ القرآن الكريم ، انظر غاية النهاية ج1ص425 ومعرفة القراء الكبار ج1ص45 .

(2) ا بن وائل بن هاشم القرشي ، فتح مصر . . انظر الاصابة ج3ص2 . وغاية النهاية ج1ص601 .

(3) مرّ ذكر أبيه . وقد أسلم عبد الله قبل أبيه ، وحمل عن النبى ﷺ علما كثيرا . أتم حفظ القرآن الكريم في حياة النبى ﷺ وعكف على قراءته وتدبره وترتيله . . ، غاية النهاية ج1ص439 . والاصابة ج2ص351 .

(4) صخر بن حرب بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف القرشي الأموى ، مؤسس الدولة الأموية ، وأحد كتاب الوحى . . . انظر الاصابة لابن حجر ج3ص433 .

(5) ابن العوام القرشي ، أول مولود ولد في الأسلام بالمدينة من قريش ، قتله الحجاج بن يوسف أيام عبد الملك بن مروان . الاصابة ص308 .

(6) ابن عائذ بن عبد الله المخزومى ، أحد القراء الكبار ، أخذ عنه أهل مكة القراءة . . . الاصابة ج2ص314 .

(7) أم المؤمنين ، أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين والأدب . . وأقرؤهن لكتاب الله . الاصابة ج4ص359 .

(8) زوج النبى ﷺ عدها أبو عبيد ضمن القراء ، وكان لها مصحف خاص . الاصابة ج4ص273 .

(9) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله أم سلمة المخزومية ، عدت ضمن القراء ، وكان لها مصحف خاص الاصابة ج4ص458 .

(10) عرض القرآن على النبى ﷺ وقيل في حقه من أراد أن يسأل عن القرآن فليات أبي بن كعب . . معجم حفاظ القرآن ج1ص19 .

ـ معاذ بن جبل [1]

ـ أبا الدرداء [2]

ـ زيد بن ثابت [3]

ـ أنس بن مالك [4] «ت 93 هـ»

ـ مجمع بن جارية [5]

وغيرهم .

ثم قال : وبعض من ذكرنا أكثر في القراءة وأعلى من بعض . وإنما خصصنا بالتسمية كل من وصف بالقراءة ، وحكي عنه شئ من وجو ها .

ـ الكم الهائل الذي قتل في الرجيع ، وبئرمعونة ، واليمامة ، فبعد استقرار النبى ﷺ بالمدينة ، وفد عليه رهط من الأعراب وذكروا ـ كذبا ـ أن فيهم إسلاما وأنهم بحاجة إلى بعث ثقا في ، يقرئهم القرآ ن ، ويفقههم في الدين ، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة من أصحا به، فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع [6] ، غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا وبنى لحيان ، فأحاطوا بهم ، وهب القراء يدا فعون عن أنفسهم ، ولكن ماذا عسى أن يصنع بضعة رجال ضد جموع من الهمج ، تقاطروا عليهم من كل جهة ، فقتلوا جميعا عدا ثلاثة قتلوا أحدهم في الطريق بين مكة والمدينة ، واقتادوا الاثنين ليبيعوهما في مكة لبعض الموثورين في بدر ، وممن قتل قا ئد البعث :

---

(1) ابن عمرو بن أوس الأنصارى أبو عبد الرحمن الخزرجى ، أحد الذين جمعوا القرآن حفظا في عهد رسول الله ﷺ وأحد المؤمنين الكبار ، أسهم في تحفيظ القرآن الكريم في كل من مكة واليمن والشام . غاية النهاية ج2ص301 .

(2) عويمر بن عامر أبو الدرداء . يعد من أشهر قراء الصحابة . وأول من تصدر للاقراء في منطقة الشام

(3) كاتب النبى ﷺ وأمينه على الوحى . وأحد الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ وأحد ستة انتهى إليهم علم الفقه من الصحابة ، كان قوى الحفظ ، جيد الترتيل ، حين الأداء ، مما جعل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يقدمانه في القراءة علىغيره ، معرفة القراء الكبار ج1ص38 .

(4) ابن النضر بن ضمضم بن زيد الانصارى الخزرجى ، خادم رسول الله ﷺ الاصابة ج1ص71 .

(5) سبق أن أشرنا إلى هذا العلم ، انظر ص12 الذي قال فيه ابن اسحاق وكان «مجمع» غلاما حدثا ، قد جمع القرآن القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، طبقات ابن سعد ج1ص34 .

(6) الرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بين مكة وعسفان ، وإنما أضيف البعث إلى اسم الماء لأن الوقعة كانت بالقرب منه . انظر سيرة ابن هشام ج2ص168 .

ـ عاصم بن ثابت الأنصاري .

ـ وزيد بن الدثنة ، القائل حين استقبل الموت :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي [1]

ولم يكتف تجار الدم بالاتجار في النفر الذين ذكروا ، بل وفد على رسول الله ﷺ بالمدينة «أبو براء» عامر بن مالك ، المعروف بملاعب الأسنة ، وتظاهربالولاء للرسول وللمسلمين وبعطفه على الدعوة الإسلامية ، وطلب من الرسول أن يبعث معه إلى أهل نجد قراء ومرشدين ، فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، وبعث معه أربعين رجلا من الصحابة القراء ، في قول ابن إسحاق ، وفي الصحيحين أنهم كانوا سبعين ، وهو المعتمد ـ وتعرف هذه السرية باسم «سرية القراء» أوسرية المنذر بن عمرو ، وكانوا من خيار المسلمين ، وقرائهم فساروا حتى إذا نزلوا ببئر معونة [2] هجم عليهم عامر بن الطفيل في قومه ، فهرع القراء إلى سيوفهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم .

ولم يكن في استطاعة المسلمين اتخاذ العبرة مما حدث في وقعة الرجيع ، لأن الحادثتين وقعتا في شهر واحد ، ووصل خبرهما إلى المدينة في ليلة واحدة [3] ، ولهذا جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة ، حتى توهم بعض الباحثين أنها قصة واحدة في موضع واحد .

وقد دلل القرطبي على كثرة الحفاظ بأنه قتل في يوم اليمامة سبعون منهم ، ثم قال : وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد [4] ، ومعركة اليمامة وقعت بعد بعد وفاة النبي بأشهر قليلة ، وقيل إن عدد القتلى ـ فيها من القراء ــ بلغ أربعمائة وقيل أكثر .

وحسب تعبير زيد بن ثابت ـ في مقام بيانه لسبب أمر أبي بكر بجمع القرآن[5] ــ ـ أنه قتل باليمامة أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن .

(1) الجامع الصحيح للبخاري ج3ص28 .

(2) بئر معونة : هو موضع بين مكة وعسفان ، وقد حدثت وقعة بئر معونة سنة 4 هـ عمدة القارىء ج8ص230 .

(3) انظر ظهور الإسلام وسيادة مبادئه . 262 . د . عبد الحميد بخيت .

(4) انظر الاتقان للسيوطى ج1ص199 .

(5) صحيح البخاري ج3ص225 .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن الأمة العربية التي نزل بلغتها القرآن الكريم ، كان يضرب بها المثل في الذكاء وصفاء النفس ، أدركنا أن اعتمادهم كان على الحفظ أكثر منه على الكتابة ، حتى لقد كان الواحد منهم يحفظ ما يسمعه من أول مرة ، مما جعل أيامهم ووقائعهم وأنسابهم تسجل في صدورهم ، بدون حاجة إلى تسجيلها في الكتب .

ولما كان اعتمادهم على الحفظ والإتقان ، وكان هناك مجالس يحفظون فيها ما ينزل من آيات القرآن فإن عدد حفاظه قد أخذ يزداد يوما بعد يوم ، حتى تكونت سرايا وكتائب كبيرة ، تسمى « كتائب القراء» كما مر بنا سابقا .

وهذا الكم الهائل من النصوص ، وهذه الجملة من الروايات ـ التي أوردناها ـ إذا ضم بعضه إلى بعض فإنه يبرز أمامنا أسماء كثيرة من أعلام الصحابة مهاجرين وأنصارا الذين جمعوا القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ .

ومن الطبعي ألا يكون جميع هؤلاء الرواة مع اختلاف عصورهم قد تواطأوا علي الكذب ، وأوردوا ذكر هذه الجمهرة من الصحابة الذين جمعوا القرآن الكريم في عهد صاحب الرسالة ، صلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا فإن حصر القراء في عدد محدود لا يمكن ، ولعل ما قدمته يفيد أن الحفاظ والقراء ، كانوا أكثر من الذي ورد في الروايات بأضعاف مضاعفة ، وأوردنا أنه قتل منهم العشرات أوالمئات في وقعة اليمامة ، وقبلها ببئر معونة ، وقبلها في الرجيع .

وأن ما ذكره أنس وغيره مِنْ حصر َمنْ جمع القرآن في هذا العدد المحدود لايصح . ولم يرتضه ـ أيضا ـ ابن حجر ، ودعوى أن عددا منهم لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ وإنما جمعوه ، أوأتموا جمعه بعده ، لا يصح أيضا .

والحصر فيمن ذكرهم العيني[1] أو في عدد أقل من ذلك ، كما يقوله القسطلاني غير معقول ، ولا مقبول ، سواء أريد بذلك من ختم القرآن ، أو من حفظه ، أو من كتبه.

ويدفع هذا الاختلاف في عدد الحفاظ ، وفي أسمائهم إلي عدم التمسك بما في هذه الشواهد ، لما فيها من الاضطراب في العدد ، والنفي والإطلاق ، وليس فيها شيء من المرفوع إلي النبي ﷺ لاسيما وأن الروايات التي عددت الحفظة قد أهملت ذكر أسماء كثير منهم من دون مبرر ، ولا شاهد ظاهر علي ذلك يذكر ، كما أن هناك أسماء

(1) انظر عمدة القاري ج20ص27 .

كثير من الحفظة ، لم تنقلها الروايات التي أوردتها ، اشتركت مع هـذه الأسمـاء في جمـع القرآن بالكتابة ، والحفظ والتدوين .

ولهذا فإن هذه الروايات وغيرها وإن عينت بعض الذين عرضوا القرآن علـي الـنبي ﷺ أو قرأوه عليه ، أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الأمة ، فـإن هـذا لا يعنـى أن غيرهـم لم يفعل مثل فعلهم ، بل إن الجامعين له بلغوا مـن الكثـرة حـداً بحيـث لا يحصـيهم إلا الله تعالى .

وإذا ثبت أن القرآن قد حفظ كله على عهد النبي ﷺ أيقنا أنه قـد وصـلنا مـن عنـد الله كما هو ، ليس لجبريل فيه إلا تبليغه إلى النبي ﷺ ، وليس للنبي فيه إلا تبليغه للنـاس كافة ، وليس للصحابة ومن جاء بعدهم فيه إلا الحفظ والنقل بأمانة ودقة فائقتين من غـير زيادة ولا نقصان ، ولا تغـيير ولا تبـديل ، فتلقينـاه كمـا أنـزل غضـا طريـا ، كـأن عهـده بالنزول أمس .

لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو :

ما المراد بلفظ الجمع الوارد في النصوص؟

جوابا عن هذا نقول :

يطلق لفظ الجمع ويراد منه عدة معان والمناسب ـ منها ـ للمقام المعينان التاليان

ـ حفظ القرآن في الصدور .

ـ كتابته وجمع متفرقه .

غير أن العلماء اختلفوا في تعيين المراد منهما :

أ ـ ذهب فريق منهم وعلى رأسهم شهاب الـدين المقدسـي « ت 665هـ» إلـي أن المراد حفظه جميعه عن ظهر قلب ، واستدلوا علـى ذلـك بقولـه تعـالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة : 17] وقول أنس السابق (مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غـير أربعـة) ، فالمراد بالجمع في الآية الكريمة ، وفي الحديث تمام الحفظ لنص القرآن الكريم .

ويلاحظ على الذين تكلموا في هذا المجال ، أن بعضهم يـذكر عبـارة ممـن جمـع القرآن ويسكت ، ومنهم من يضيف : كله (حفظـا) وكـأنهم يعنـون بـذلك تفسـيرا للمـراد من (جمعهم القرآن) وذلك ليدل علي أن المراد بالجمع هو الحفظ وليس الكتابة .

ب ـ وذهب فريق آخر منهم الماوردي [1] «ت 450هـ» إلي أن المراد الكتابة ، وقالوا : إن دعوى الفريق السابق لاتصح ، وهي لا تعدو أن تكون اجتهادا منهم في تفسيرالنص ، ولا تستند إلي دليل ، أوشاهد تاريخي يذكر ، بل إن الشواهد المتقدمة كلها تدل علىخلاف ذلك .

وقد بالغ أنصار هذا المذهب إلي حد أنهم قالوا : الجمع المتعارف عليه هو التدوين في مجموع ما ، وقد يحلو للبعض أن يفسر الجمع بالحفظ في الصدور ولا دلالة لغوية عليه ، إذ أنه انتقال باللفظ عن الأصل إلي سواه ، دون قرينة تصرف عن المعني الأول ، ولأنه معارض بجمهور الحفظة الذين لايعدون في عهد النبي ﷺ كثرة وتواترا وشيوعا ، من النساء والرجال ، وفيهم الخلفاء الأربعة وأمهات المؤمنين ... عدا آلاف المسلمين في طول البلاد وعرضها .

وبعد عرض الآراء السابقة يمكن القول بأن المراد بالجمع هو ما قابل التفرق مطلقا ؛ لأن القرآن قد نزل مفرقا ، ونجوما ، فكان الصحابة ـ أو طائفة منهم على الأقل ـ يهتمون بالحصول علي ما نزل ، وضمه إلي ما عندهم ويتابعون ذلك باستمرار ومن الطبعي أن يكون ذلك علي سبيل الحفظ والكتابة معا ، وضم الجديد إلي القديم .

وبناء علي هذا فالقول بأن المراد بجمعه حفظه في الصدور فقط ، أو كتابته في السطور فقط لايستقيم ، لأن حفظة القرآن في عهد الرسول ﷺ كثيرون .

كما أن لبعض الصحابة مصاحف خاصة أورد ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» قائمة طويلة بأسماء أصحابها ، وقد عقد لذلك بابا سماه «باب اختلاف مصاحف الصحابة» [2] ومن المصاحف التي أوردها : مصحف أبي بن كعب ومصحف عمر بن الخطاب ، ومصحف عبدالله بن مسعود ، ومصحف علي بن أبي طالب ، ومصحف عائشة ، ومصحف عبد الله بن عباس ، ومصحف عبدالله بن الزبير ، ومصحف عبدالله بن عمرو بن العاص ، ومصحف حفصة ومصحف أم سلمة [3] . . . وغيرها

---

(1) هو الأمام أبوالحسن علي بن حبيب الشافعي ، صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، والحاوى ، والتفسير ، وكتاب الأحكام السلطانية . شذرات الذهب ج3ص285 .

(2) انظركتاب المصاحف لابن أبي داود . 49 .

(3) المرجع نفسه ص50 وما بعده .

وهو ما يرجح أن «أنسا» كان يتكلم عن قبيلة الخزرج فقط ، وإذا ما تأكد لنا أن القرآن قد حفظ كله في عهد النبي ﷺ ، أيقنا أن الروايات كانت دقيقة في عملية التدوين والحفظ معا .

فلم يكفها أنها أكدت أن القرآن الكريم قد حفظ كله في حياة النبي ﷺ من قبل عدد كبير من الصحابة ، ولكنها عينت من قاموا بالتدوين والكتابة أيضاً ، فكتّاب الوحي كانوا يكتبون القرآن فور نزوله ، يقول زيد بن ثابت : « كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي بعث إلى فكتبته [1] » .

ويقول البراء [2] بن عازب « ت : 71هـ » : لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [النساء : 95] . قال النبي ﷺ : « ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف » ثم قال لما حضر : اكتب ﴿لا يستوي القاعدون﴾ وخلف ظهر النبي ﷺ عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، فقال يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير لا أستطيع الجهاد ، فنزل ﴿غير أولي الضرر﴾ .

ولا دليل على ما ذهب إليه الزركشي [3] « ت : 704 هـ » من أن بعض القرآن فقط جمع بحضرة النبي ﷺ حيث تضافرت الروايات على كتابته جميعه تحت إشراف صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

يقول محمد عبد الله دراز : [4] إن النص المنزل لم يقتصر على كونه قرآناً ، أو مجموعة من الآيات ، تتلى أو تقرأ ، وتحفظ في الصدور ، وإنما كان أيضاً كتابا مدوناً بإعداد .

فهاتان الصورتان تتضافران وتصحح كل منهما الأخرى ، ولهذا كان الرسول ﷺ كلما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبة الوحي .

لكن « آرثر جفري » لا يسلم بهذا الرأي على الرغم مما أيدناه به ، ويقول زعم بعض الكتبة أن المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ ، ولكننا لا نوافق على قولهم هذا،

(1) انظر صحيح البخاري ج3ص226 . وفي رواية أخرى « كنت جار رسول الله ﷺ فكان إذا نزل الوحى أرسل إلى فكتبت الوحى » المصاحف ص2 .

(2) انظر صحيح البخاري ج3ص226 باب فضائل القرآن .

(3) انظر البرهان ج1ص237 .

(4) مدخل إلى القرآن الكريم ص34 .

لأن «عليا» حمل ما جمعه على ظهر ناقته ، وجاء به إلى الصحابة ، وسمى الناس ما جمعه أبو موسى «لباب القلوب» وحرق عثمان ما جمعه «أبي» وأبى «عبد الله بن مسعود» أن يقدم ما جمع من القرآن ، إلى عامل عثمان بالعراق ، ويلزم علي هذا أن ما جمعوه كان محفوظا في مصاحف [1] .

ويودّ «آرثر جفري» أن ينتهي إلي نفي حقيقة حفظ القرآن علي عهد الرسول ﷺ : ليرتب علي ذلك أشياء أخرى في نفسه .

ويبدو أن هذه الشبهة وجدت من يثيرها قديما بمثل هذا المضمون الذي ولدت به علي يديه ، وقد تصدى لها من كشف ضعفها وأوضح تهلهل نسجها .

يقول ابن حجر : «ت852هـ» وأما ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف من طريق ابن سيرين قال : قال علي رضي الله عنه : لما مات رسول الله ﷺ آليت ألا آخذ عليّ ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه ، فإسناده ضعيف لا نقطاعه وعلى تقدير أن يكون متصلا فمراده بجمعه حفظه في صدره : [2] ، قال : والذي وقع في بعض طرقه حتى جمعته بين اللوحين وهم .

وابن أبي داود الذي أخرج هذا الخبر لم يدعه دون أن يكشف ما فيه من زيف ، فقد رد قول أشعث [3] : لما توفى النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ، ففعل ، فأرسل إليه أبو بكربعد أيام فقال : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ قال : لا والله إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة ، فبايعه ، ثم رجع ، وقال ابن أبي داود : في رده : لم يذكر المصحف إلا أشعث وهو ليّن الحديث ، وإنما رووا حتى أجمع القرآن ، يعني أتم حفظه ، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن .

والسؤال المطروح : لماذا يريد ـ آرثرجفري ومن نحا نحوه ـ أن يحملنا على التسليم بعدم حفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ !

يقينا أنه لم تكن هناك موانع تحول دون هذا الحفظ ، ويقينا أنه كانت هناك دوافع

(1) انظر مقدمة كتاب المصاحف ص5 .

(2) انظر فتح الباري ج9ص9 والمصاحف لابن أبي داود ص16 .

(3) انظر كتاب المصاحف ص16 .

تستحث المسلمين عليه .

والحق أن المسلمين تلقوا القرآن عن النبي ﷺ حرفا حرفا ، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ، ولا إثباتا ، ولا حذفا ، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ، ولا وهم [1] وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه ، كل ذلك في حياة النبى ﷺ .

وتحقق وعد الله عز وجل بحفظ كتابه العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9] .

ثبت المصادر والمراجع

القران الكريم : ـ
1ــ الإتقان في علوم القران ، لجلال الدين السيوطي « ت911 » . دار إحياء العلوم بيروت، ط2 .
2ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري . لشهاب الدين القسطلاني « ت923 » . دار الكتاب العربي بيروت
3ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر « ت 463 » . مطبوع بهامش الإصابة
4ـ الإصابة في تميز الصحابة . لأبي الفضل أحمد بن حجر « ت 852 » . دار صادر . ط.1 .
5ـ البرهان في علوم القرآن . بدر الدين الزركشي « ت744 » . دار الفكر بيروت . ط. 3.
6ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام . لأبي عبد الله محمد الذهبي . « ت 748 ». دار الكتب المصرية ط . 1 .
7ـ تاريخ القرآن . إبراهيم الأبيارى . دار الكتاب اللبناني بيروت الطبقة الثانية .
8ـ الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد القرطبي « ت671 » . دار الكتاب العربي 1967 .
9ـ زاد المعاد في هدي خير العباد . محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية « ت751 » . دار الكتب العلمية بيروت
10ــ سيرة أعلام النبلاء . لأبي عبد الله محمد الذهبي « ت748 » . تحقيق شعيب

(1) انظر كتاب النشر لابن الجرري ج1ص6 .

الارنؤوط . مؤسسة الرسالة .
11ـ السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام « ت218 » . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة .
12ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . عبد الحي بن عماد الحنبلي « ت1089 » دار الآفاق الجديدة . بيروت .
13ـ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري « ت256 » مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة
14ـ صحيح مسلم . لأبى الحسن مسلم بن الحجاج الفشيرى « ت 261 » . دار الفكر بيروت
15ـ الطبقات الكبري . لأبي عبد الله محمد بن سعد « ت230 » . دار صادر بيروت .
16ـ ظهور الإسلام وسيادة مبادئه . د . عبد الحميد بخيت . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة .
17ـ عمدة القارئ شرح صحيح البخارى . لبدر الدين محمود العيني « ت855 » . دار إحياء التراث العربي .
18ـ غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن الجزرى . « ت833 » . دار الكتب العلمية بيروت .
19ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري . لأبي الفضل أحمد بن حجر . « ت852 » . مطبعة عيسي البابى الحلبي .
20ـ فتوح البلدان . لأحمد بن يحيى البلاذري . « ت274 » . مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
21ـ فضائل القرآن لأبي الفداء إسماعيل بن كثير « ت774 » . دار الفكر العربي بيروت ط . 1 .
22ـ الفهرست . لمحمد بن إسحاق النديم . « ت385 » . دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
23ـ الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأحمد الدفراوي« ت1120 » . دار المعرفة،
24ـ كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن أبي داود . « ت316 » . دار الكتب العلمية بيروت .
25ـ مدخل إلي القرآن الكريم . د . محمد عبد الله دراز . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية .
26ـ المرشد الوجيز إلي علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن المقدس « ت665 » دارصادر .

27ـ المستدرك علي الصحيحين لابي عبد الله محمد الحاكم «ت405» مطبعة دار الفكر القاهرة
28ـ المستند للإمام أحمد بن محمد الشيباني بن حنبل «ت241» . المكتب الإسلامي بيروت .
29ـ المعجزة الكبرى القرآن . للشيخ محمد أبو زهره . دار الفكر العربي بيروت .
30ـ معجم حفاظ القرآن . د . محمد سالم محيسن . دار الجبل بيروت الطبعة الأولي .
31ـ معرفة القراء الكبار . لشمس الدين محمد الذهبي «ت748» . مؤسسة الرسالة . ط.
32ـ مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني «لمجهول» مكتبة الخانجي . القاهرة .
33ـ مناهل العرفان في علوم القرآن . للشيخ عبد العظيم الزرقاني . دار الفكر . بيروت.
34ـ النشر في القراءات العشر . لشمس الدين بن الجزري «ت833» . المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .
35ـ نكت الانتصار . لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني «ت403» . منشآت المعارف الإسكندرية .